

وتنفذ إلى قلبك .. وندعو الله أن يكون سمك قد انقط صرخة
الشعر وأن يكون قلبك قد اهتز لفرة الشاعر، كما التقطتها الأسماك
هنا واهتز لها القلوب !

مصدر هذه الصرخة ياسيدي هو أن العراق - ممثلاً في
شخص وزير المعارف الأسبق السيد نجيب الراوي - قد عطف
يوماً على عبد القادر فأرسله إلى جامعة باريس ليطالب فيها العلم ..
وقبل أن أمضي في طريقي لأعرض عليك أدوار هذه القضية ،
أود أن أقف لحظة لأخضع قلبي بحماسة السيد نجيب الراوي ، هذا
الرجل الفاضل الذي يسهلنا نحن المصريين ويشجع منا الصدور
أن يكون اليوم بيننا ممثلاً لبلادنا . أخضع قلبي بحماسة له لأنه عطف
على عبد القادر حين لمس في شعره اللوحة وطالعه منه دلائل
النبوغ ، فأشفق على الفن أن يختفي في الظلام فأخرجه إلى رحاب
النور ، وبث به إلى باريس ليتعلم على نفقته الخاصة .. لم يثن
السيد نجيب الراوي على الشاعر بماله ، بل جعل من هذا المال حقاً
كريمًا لأصحاب المواهب والملاسل . وأوشك أن يزيد من فضله
حين عزم على أن يشارك الدولة في تقديره رسالة الفن ، وذلك
بأن تقدم وزارة المعارف لهذا الشاعر منحة سنوية تمينه على استكمال
دراسته في أروقة السوربون . ولكن الأقدار تتدخل فتحول بين
الوزير وبين أن يحقق للشاعر ما كان يتطلع إليه من الأمل
المرتقب في ظلال الوعود .

استقالت الوزارة التي كان فيها السيد نجيب الراوي وزيراً
للمعارف ، قبل أن يتم التصديق على الميزانية التي أدرج فيها الوزير
تلك المنحة السنوية للشاعر ، وأعقبها في الحكم وزارة السيد
توفيق السويدي التي أحلت محل السيد الراوي وزيراً آخر هو
السيد سعد عمر . ومن باريس كتب الشاعر إلى الوزير الجديد
يشكو إليه حاله ، حال المكافح الباسل في طلب العلم حين تقسو
عليه الحياة وهو غريب الأهل والدار ، حال المواطن الصادق حين
يفزع إلى وطنه مطالباً ببعض ماله على هذا الوطن من حقوق !
ولكن العراق ممثلاً في شخص الأستاذ سمع عمر لم يستمع
لصرخة الفن الشهيد بطلقها عبد القادر ، فأغلقت درتها منافذ
القلب والسمع والشعور .. واستمر عبد القادر يكافح ، بكافح
وحيداً ، لا يد باليون تمتد إليه ، ولا صديق بالذكر يعطف عليه ،
ولا نسمة رخية من أنفاس الوطن البعيد تطلب من حوله جفاف

تقريب

للأستاذ أنور المعداوي

إلى معالي وزير المعارف في العراق :
سيدى الأستاذ

سألت عنك ، فقيل لي إنك أحمد هؤلاء المتنازين خلقاً
وثقافة . وحين علمت هذه الحقيقة ، قد قررت على الفور أنك تقرأ
« الرسالة » ، وتألف صرير القلم ، وتستجيب لدعوة الحق ، ولهذا
كتبت إليك .. فليس أحب إلي من أن أجدك إلى رجل ممتاز
أو أدخل إلى كتاب ممتاز ، لأن كليهما لن يضيّق بصحبة الأدب
ولن يفكر لرسالة الوفاء !

وأحمد الله على أنك في المكان الذي أحب لأمثالك من
المتنازين أن يكونوا فيه ، وأشكر للعراق فطنته في اختيار الذين
يحملون أمانة العلم ويشرفون على تربية الجيل ، وينثرون في أرض
المعرفة بذور نهضة فكرية يشتد منها المود وينضج الثمر . من
حقك على إذن ، ومن حقك على « الرسالة » ، ومن حقك على
كل صاحب قلم يربطه بك بسبب من أسباب الفكر أو صلة من
صلات اللغة أو آصرة من أوامر الجوار ، أن تكتب إليك بأخلص
التحية وأصدق التقدير ، مع الأمل المصحوب بحرارة الرجاء ..
ومن حق عليك ، وحق « الرسالة » ، وحق هؤلاء الذين أجدك
إليك باسمهم هنا وهناك ، ألا تتخذ نفقتنا بك ورجاءنا فيك ،
لأن القضية التي نمرسها عليك هي قضية الشعر المظلوم والحق
المهضوم والفن الشهيد ، فوق ترى هذه الأرض الطيبة التي
أبنتك .. أرض العراق الحبيب !

قضية اليوم التي نتقدم بها إلى ساحتك ، هي قضية الشاعر
العراقي الطيب الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري .. ترى هل
استمعت إلى صرخته التي أطلقها منذ قريب على صفحات
« الرسالة » ؟ إننا نرجو أن تكون هذه الصرخة قد حطمت
السدود والقيود ، ومبرت الآمال والأبدان ، لتصل إلى سمك

في مجال الحديث عنه محمد عبده .. لأن هذا الرجل الكريم كان نفحة صادقة من نفحات الكرامة العقلية في مصر ؛ الكرامة الوفية للخلق والمخلصة للقيم ، حين تنشد في ضوء المثل العليا أقدار الرجال ، وأي وفاء للخلق وأي إخلاص للقيم أصدق من أن يمد هذا الوزير المصري يد العطف والرحمة إلى حافظ إبراهيم لينقله من حياته المشردة في الشوارع والقموات ، إلى حيث يوفر له من رغد العيش واستقرار النفس وراحة الجسم ما يليق بمكانة شاعر .. هناك حيث قدر لحافظ إبراهيم أن يكون مديراً لدار الكتب المصرية ١٩

إننا نقدم هذه القصة المثالية لمآلى وزير المعارف في العراق .. نقدمها والأمل يعلو نفوسنا بأن التاريخ يمكن أن يمد نفسه ؛ تاريخ الأدب العربي بمد أن تصف وزارة المعارف العراقية هذا الشاعر، ويحيى اليوم الذي تخصص فيه بعض صفحاته للحديث عن مثلين نادرين من أمثلة الكرامة العقلية : هما محمد عبده خليل كنه هناك ١١

إن تاريخ السياسة كما سبق أن قلت ، قد يسهو عن أن يثبت هذه المأثرة لمآلى الأستاذ خليل كنه ، لأنه تاريخ لا يعلم من أن تمت بسطوره يد الأهواء والأغراض .. أما تاريخ الأدب يامآلى الأستاذ ، فهو أشرف قصداً وأنبى غاية ، وأكثر بقاء على الزمن ومحموداً على الأيام ١

لحظات مع الرسام « الفرنسي » بيكاسو :

طلعت في الممدد (٩٠٢) من الرسالة ، ما كتبتموه رداً على الأستاذ مختار المطار الذي يقول عن الرسام السريالي « بيكاسو » إنه أسباني ، وتحالفونه بقولكم إنه أسباني المولد ولكنه فرنسي النشأة ، وتجنس بالجنسية الفرنسية منذ أمد بعيد ، وإن أسبانيا اليوم لا تعتبر واحداً من أبنائها ولا من فنانها .

ومع إعجابي بكم واحترامي لكم ، أقول إنه لم يجترأ على الحق في رده عليكم ، ذلك لأن « بيكاسو » قد ولد عام ١٨٨١ وتعلم الرسم عن والده ودرس في مدرستى مدريد وبرشلونة للفنون الجميلة . وفي عام ١٩٠٠ سافر إلى فرنسا ، أي أنه أمضى تسعة عشر عاماً في أسبانيا وأقام بفرنسا نهائياً وتجنس بالجنسية الفرنسية كما تقولون .

الحياة . وحين فقد آخر منحة من فيض السيد نجيب الزاوي ، وآخر أمل في إنسانية السيد سعد عمر ، وآخر مورد من موارد الرزق الشريف ، وآخر قطرة من -يل العرق والدموع ، قفل راجعاً إلى العراق .. قفل راجعاً ليبيكي « شبابي الدامي » على صفحات الرسالة ١١

واليوم ، تنطاق هذه الصرخة الندوية ومآلى الأستاذ خليل كنه وزير المعارف في العراق .. ماذا أقول لهذا الرجل الممتاز وأبصارنا شاخصة إليه وأفكارنا متعلقة به ؟ أقول له تلك الكلمات التي قلتها في هذا المكان منذ أيام ، وهي أن عبد القادر وتر من الأوتار العادحة بأنغام الحق والخير والجمال ، فلماذا يريد العراق لهذا الوتر أن يحمده أنغامه وهو يفتنى له ويتفتنى به ؟ أهو يفتنى بصوت الحق فلا يسمع ، وبمعنى الخير فلا ينظر ، وبسر الجمال فلا يطرب ، وبصرخة الفن الشهيد فلا يستجيب ١٩ إنها مأساة .. مأساة أن أرى العراق يحول بين أحد شعرائه وبين نور العلم ، وهو بهذا النور سيضيء لوطنه أقباس الأمل ومشاعل الرجاء ١

إننا نمدد العراق من مثل هذا الاهتمام في عهد هذا الرجل المثقف الممتاز .. خليل كنه ١ إن عبد القادر يا سيدي لا يطلب منكم منعها من المناسب ، ولا لفتها من الألقاب ، ولكنه يطلب منكم أن يفتخر من مناهل العلم ، وهذا — كما قلت أيضاً بالأسس — هو أقل ما يجود به وطن على فنان ١

ترى هل أنتظر لهذا الشاعر خيراً على يديك ؟ إنني أريد أن أسجل لك هذه النية على صفحات « الرسالة » ، وأذهب إلى أبعد من هذا حين أريد أن يسجلها لك تاريخ الأدب .. صدقني إن تاريخ السياسة ليقل أحياناً عن تسجيل بعض المآثر لبعض المتأثرين ، ولكن تاريخ الأدب من الوفاء بحيث لا يفتل عن أمثال هذه المآثر حين يمرض لها بالذكر الجميل . وهذا هو موقف التاريخيين من وزير المعارف المصري محمد عبده ، حين غفل عن مآثرته التاريخ الأول وذكرها التاريخ الأخير .. محمد عبده الذي أكرم الفن في شخص حافظ إبراهيم ، حين انتقله من مهاوى البؤس فكرمه تاريخ الأدب وعطر بمداد التقدير خلقه وذكره ١

إن تاريخ الأدب العربي الحديث لا يذكر حافظاً إلا وذكر

الفاضل ، طالب الفنون الجميلة ، أن يجادل في هذه الحقائق الفنية !
أما عن معرض الفن الأسباني الذي أقيم في القاهرة فقد
زرتة وشاهدت ما فيه من لوحات .. وأود أن أقول للأديب
الفاضل إن بعض لوحات « بيكاسو » قد أقحمت إقحاما في هذا
المعرض ، بقصد الترويج للفن الأسباني على حساب هذا الفنان
الفرنسي .. لأن رجلا مثل « بيكاسو » قد نجس بالجنسية
الفرنسية منذ خمسين عاما ، وسجل اسمه ضمن مجموعة الرسامين
الفرنسيين في متحف « اللوفر » بباريس ، ولا يتحدث عنه
« سارتر » و « جان كوكتو » إلا ويقولان عنه :
« الفنان الفرنسي » ، مثل هذا الرجل « تتمسح » فيه الحكومة
الأسبانية حين تقحم بعض لوحاته في معرض الفن الأسباني
بقصد الترويج لهذا المرض بلا جدال !

- وأزيد على ذلك فأقول : إن الحكومة الأسبانية قد أقدمت
على أن تفعل ذلك في مصر ، ولا أعتقد أنها تستطيع أن تقدم
على مثل هذا العمل في بلد مثل إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا
أو غيرها من البلاد الأوربية ... ذلك لأن لوحات « بيكاسو »
المحفوظة - ولا أقول المدروسة - في متحف « اللوفر » مسجلة
كما سبق أن قلت ضمن مجموعة الفنانين الفرنسيين ، لأن صاحبها
فرنسي باعترافه واعتراف الحكومة الفرنسية واعتراف الدوائر
الفنية في العالم . وقد يسألني أحد القراء لماذا تحفظ لوحات
« بيكاسو » في متحف اللوفر بباريس دون أن تعرض ، فأقول له :
إن عرض اللوحات في هذا المتحف العالمي غير جائز للفنانين
الأحياء ، فإذا ما انتقلوا إلى العالم الآخر فقد أصبح من حقهم
أن ينتقل إنتاجهم الفني من « الحفظ » إلى « العرض » ، أعني
من مكانه في « الخزان » إلى أمكنته من الجدران .

شعراء في الميزان :

أنا من المؤمنين بأن النفس الإنسانية هي الخوض ، بل المحيط
الذي يجب أن نتعرف منه أعلام الشعراء ؛ وأن الوجدان هو
الأفق الذي يجب أن يضرب فيه جناح الشعر .. ولا أدري بغير
هذا الفن الذي يؤدي عن النفس ولست أومن بغير هؤلاء الفنانين
الذين يقبسون من الوجدان . ولا أكاد أدري أي شيء هذا الذي
يحملني أعتقد أنني جئت إلى هذه الدنيا ، وفي هذا الإيمان ؛ وأني

أما قولكم بأن أسبانيا لا تعتبره اليوم واحدا من أبنائها
ولا من فئاتها فهو قول يخالف الواقع ، لأنه لو كان كذلك لما
عرضت الحكومة الأسبانية بعض لوحاته في معرض الفن
الأسباني هذا العام مع زمرة الفنانين الأسبان . إننا حين نقول
إن « بيكاسو » أسباني نكون أقرب إلى الصواب مما إذا قلنا
أنه فرنسي . وختاما لكم احترامي وتحياتي .

مصطفى أحمد

طالب بالفنون الجميلة العليا قسم التصوير

أشكر الأديب الفاضل أدبه في الخطاب واهتمامه بالتعقيب ،
وأقول له : إن هذه المعلومات التي حملتها إلى رسالته عن الرسام
السريالي « بيكاسو » معلومات لا غبار عليها من الناحية التاريخية ،
ولكنها في حاجة إلى أن تزيل عنها الغبار من الناحية الفنية !
لقد قلت عن « بيكاسو » إنه أسباني المولد ولكنني فرنسي
النشأة ، ومع أنني أعلم أنه أمضى في أسبانيا تسعة عشر عاما
من حياه التي أشرت على التبعين ، مع هذا فقد قلت عنه ما قلت .
لأن نشأة الفنان لا تقاس بهذه الفترة الصغيرة التي لا تنضج فنا
ولا تمل قدرا ولا تملك إسماء من الأسماء في عداد المشهورين !
فإذا قلنا إن « بيكاسو » فرنسي النشأة ، فإنما نفي النشأة
« الفنية » الصحيحة التي تهيم للفنان أن يكون فنانا ، له إسمه
وشهرته ومكانته ... ومعنى هذا ، أن تلك الأعوام التسعة عشر
التي قضاها « بيكاسو » في أسبانيا ، تعد بالنسبة إلى الحياة
الفنية الحقبة « مولد فنان » ؛ ولكن تلك الأعوام الخمسين
التي قضاها في فرنسا هي التي تعد بالنسبة إلى تلك الحياة
« نشأة فنان » .. ترى هل فهمي الأديب الفاضل وأنا أحدد
الفوارق الفنية بين « المولد » و « النشأة » في حياة الفنانين ؟ !

أريد أن أقول له إن شهرة « بيكاسو » الواسعة ، وإسمه
اللامع ، ومذهبه الكلاسيكي القديم ومذهبه السريالي الجديد ، كل
هذه القيم الفنية لم يقدر لها أن تكون حقيقة ملموسة إلا في ظل
هذه النشأة الفرنسية التي امتدت خمسين عاما .. أما قبل ذلك ،
فقد كان سيبيا صبغيا يلقى الأصول الأولى لفن الرسم في المدارس
الأسبانية ، وهي أصول لم نستطع أن نحقق الفنان الذي طبقت
شهرته الآفاق . إن التسعة عشر عاما لم تصنع « بيكاسو » الذي
يعرفه الناس ، ولكن الخمسين عاما هي التي صنعت المعجزات ..
هو إذن أسباني المولد ولكنني فرنسي النشأة ، ولا أحب للأديب

سأنصرف عنها ولا إيمان لي - في الأدب خاصة والفن عامة -
غيره !

قد لا يعينكم شيء من ذلك كله ، ولولا أنها الرسالة الأولى ،
أو الشذرة الأولى ، أكتبها إليكم ، لسمي القلم إلى ما يريد دون
توطئة له بهذه الكلمات ... غير أنني قد قرأت تعقيبكم المعجب
على رسالة الأنسة هجران الأخيرة ، فوقفت فيه عند رأي
من آرائكم تبدونه في بعض الشعر ، وحكم من أحكامكم
تطلقونه على بعض الشعراء .

بدا لي أنكم بهذه الكلمة تميزون في شعر « الأداء النفسي »
بين لونين من الشعر : لون يرتفع فيه اللفظ بالخيال فيموجب ؛
ولون يرتفع فيه الخيال باللفظ فيهبز .. شعر قوامه العبارة الموحية ،
وشعر قوامه الوجدى العبر .. وأشهد لقد حالفكم في هذا التمييز
التوفيق كل التوفيق !

على أن ألفتكم تضمنون قصيدة « الشاعر » للحداد ،
وقصيدة « راقصة الحانة » للشاعر الخالد على محمود طه ،
وقصيدة « الطلاس » لأبي ماضي ، في مستوى واحد ، وتذهبون
القصاصد الثلاث إلى هذا الشعر الذى يتمثل وحيا معبرا ، قوامه
الحركة النفسية ، والدفقة الوجدانية ، والوثبة الخيالية .. هذا
الشعر الذى ما إن تقبل عليه حتى تشعر أنه ينقلك إلى جو كله
رفيف ، وكله أمل ، وكله سلام .. جو من الأحلام ، والذائذ ،
والأناشيد الرقصة .. وأشهد مرة ثانية لقد أصبتم بحجة الصواب
في هذه المقابلة !

ثم ... رأيتم تجمعون في الطرف الآخر بين عزيز أباطة
وأشعر المطار ، في صعيد واحد ، وهنا أسمع لنفسى أن أختلف
وإياكم بمدا اتفاق . أختلف وإياكم في أمر المطار ، بمدا اتفاق تام
معكم في كل ما رأيتموه في شاعريته ، اليوم عند تمييزكم لشعره
عن شعر الفئة الأولى ، وأمس عند تمييزكم لقصيدة الحداد على
قصيدة المطار .. وهنا أبادر بالقول إن شعر المطار ليس - على
ما أرى في طبقة شعر عزيز أباطة ، ولا يمكن أن يبلغ مستواه !
أقول ذلك ، وأنا قد قرأت الكثير من شعر أباطة : فبهزنى ،
وأطربنى ، وأثارتنى ، وأشجاني ، وحلق بى في جواء من الجمال
والجلال والتسامي .. وأقول ، وأنا قد قرأت الكثير أيضا من
شعر المطار الذى نشره ، بل وقد سمعت المطار نفسه يلقى بعضه ،
في بعض الجماع والمناسبات . فلم أشعر بتلك الهزة ، ولم أجد

في نفسى أرن تلك اللذة ، ولم يحفزنى شيء فيه إلى التهوريم مع
الشاعر في واد ، أو التدويم على جناحه في أفق !

شعر المطار - الذى عرفناه على الأقل ، شعر صناعة وألفاظ ..
شعر عبارات مات فيها الجرس ، وصور انقطعات فيها الألوان
وتعد البريق ، ومما أكرهت على السكون بعضا إلى بعض ،
فلم تكذب تألف ، ولم يسكد بأنس شيء منها بشيء .. وهل
نحن بعيد وعمد بقصيدته « بردى » و « عبقرية الفن » اللتين
نشرتهما له « الرسالة » منذ قريب ؟ إنهما قصيدتان نموذجيتان
من شعره ، تدلان أصدى دلالة وأوضحا على شاعرية الشاعر ..
فهل يخرج منهما القارىء بشيء ؟ اللهم إلا بهذه الطائفة الفنية
« حقا » من مختارات الألفاظ .. كأنما الشعر الجميل ديوان
المفردات الجميلة ، أو قاموسها ! وبعد ، فشعر المطار كما أراه ،
عمل ذهنى ، وجهد لغوى ، لا يأت إلى شعر « الأداء النفسى »
بصلة .. ولا كذلك شعر أباطة .

ووقفه أخرى وقفها عند إشارتكم إلى قصيدة « الشاعر »
للحداد ، وتعقيبكم على هذه الإشارة بقولكم : « وقد تكون
فلتة من الفلتات التى يصعب أن تتكرر من حين إلى حين .. »
نعم ، قد تكون هذه القصيدة المحلقة للحداد فلتة من الفلتات
.. نعم ولا بد للناقد الحصيف من مثل هذا التحفظ في إطلاق
الحكم على شاعرية شاعر لم نعرف له غير قصيدة واحدة ..
ولكن هل ألمح من وراء هذا الكلام شيئا من تراجع عن ذلك
الحكم الأسمى الذى حكتم به من قبل للقصيدة .. أو شيئا
من فتور في ذلك الحساس الكرم الذى اقترن به حديثكم السابق
عن الشاعر .. أم هذا الذى يخيل إلى أضغاث أهوام ؟ أرجو
أن تصدق الأخيرة !

وتقبل أبها الأستاذ الناقد أصدق آيات الثناء على جميل أدبك
من المعجب :

« دمشق - سورية » محمد الزورناؤوط

أشكر الأستاذ الفاضل ثناء المطار ، وأعتذر إليه من أن
تضييق صفحات هذا العدد من « الرسالة » عن التعقيب ، لأنه
طرق من زوايا الفن الشعرى ما يحتاج إلى شيء من التحليل
والتحديد .. إن موعدى معه في الأسبوع القادم إن شاء الله ،
وأرجو أن يتسع النطاق لبعض الرسائل الأخرى في حقبة البريد .

أنور المعراوى